زادت سبعة اضعاف فكان متوسط ثروة كل واحد منهم زادت اربعة اضعاف

ولقد كان للامبراطور يد في كل فرع من فروع هذا الارتقاء العظيم لانهُ كان يشارك وزراءهُ ورجالهُ في كل اشغالهم

وقد فاضت روحهُ في الساعة العاشرة والدقيقة ٤٣ من صباح الاثنين في ٢٩ يوليو وهو في الستين من عمرهِ فانهُ ولد في ٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ . ويقال انهُ الملك الميمة والثاني والعشرون من اسرتهِ فليس في المسكونة الآن اسرة مالكة تقارب اسرتهُ في قدمها . وان اول امبراطور منها رقي سدَّة الملك سنة ٦٦٠ ق . م فقد مرَّ عليها الآن ٢٥٧٢ سنة

والامبراطور الجديد الذي خلف ابهُ الآن ولد في ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٩ وترى صورتهُ مع صورة ابيهِ واخوانهِ وزوجتهِ وولديهِ في صدر هذا الجزء وهو الى يمين ابيهِ وزوجتهُ واخواتهُ وولداهُ وقوف امامهم

كبري بولاق

مرَّ على النيل الوف من الاعوام لا يُعبَر الاَّ بقوارب طافية على وجههِ . بلغ المصريون الاقدمون مبلغ الاعجاز في قطع الصخور ونحتها و بناء المباني الضخمة بها ولكنهم لم يستطيعوا ان يبنوا منها جسراً (كبريًا) عليهِ ولا كان الحديد متوفراً لديهم ليستخدموهُ في بناء الجسور . وجاء بعدهم اليونان والرومان والعرب ولم يقوموا في شيء من ذلك و بقي النيل يعبر بالقوارب الى ان كانت سنة ١٨٣٤ فشرع محمد علي باشا ينشئ القناطر الخيرية لحجز ماء النيل ورفعهِ لاجل الري الصيفي فصارت معبراً يُعبَر النيل بهِ ودلَّت على امكان عبورهِ بقناطر من الحجر ولكنها تكون حائلاً في سبيل الملاحة . ثم شاع استعمال جسور الحديد في اوربا واميركا بعد ان كثر سبكهُ ورخص ثمنهُ واشتدت الحاجة اليهِ فانشئ كبري كفر الزيات وكبري بنها وكبري قصر النيل وتوالى انشاء كباري الحديد في القطر المصري وفي السودان ايضاً وآخر ما انشئ منها كبري بولاق وكبري الزمالك . وقد تم انشاؤهما وفتحا باحتفال رسمي في الثامن من شهر اغسطس فتحهما ناظر الاشغال العمومية وتلا في افتتاحها الخطبة التالية

« كانت مدينة القاهرة من قبل بحكم الاقدار منحصرة في ثنايا بقعة معينة لا تتعدى حدها الذي رسمتهُ الطبيعة لها يومئذٍ لكنها جرياً على النواميس الخلقية الفاعلة في نشوء العواصم الكبرى الجارية على قدم الانتشار والنماء قد اخذ نطاق عمرانها يتسع في هذه السنين الاخيرة

فنزل القوم بابوابها واحتلوا ضواحيها وهم فيها يتزايدون و يتكاثرون فصار من الواجب ايصالهم بالعاصمة . فمنذ اربع سنوات تفضلت الحضرة الفخيمة الخديوية بافتتاح كبري الروضة اللذين انشيا لوصل احياء مصر القديمة ببندر الجيزة والاهرام مباشرة . ومن اسابيع خلت تمّ انشاء طريق تصل مدينة القاهرة ببلدة حلوان وعما قليل تتصل مدينة الاسكندرية بالعاصمة على هذا النمط . ولقد كانت الجزيرة منذ بضع سنوات منقطعة في الخلاء فصارت اليوم آهلة معمورة . وهذا كبري قصر النيل كان منذ اربعين سنة مضت الواصل الوحيد بين ضفتي النيل فلما صار غير واف باغراض المواصلة فيما بين القاهرة والجزيرة بالسهولة والسرعة عمدت الحكومة الى انشاء كبري بولاق والزمالك لا يصال العاصمة بالاحياء البحرية بالجزيرة وناحية امبابه وأسماء. فكبري بولاق يبلغ طولهُ مائتين وخمسة وسبعين متراً وعرضهُ عشرين متراً وهو مؤلف من اربع فتحات ثابتة متماثلة الوضع طول الواحدة منها خمسون متراً وفتحة متحركة في وسطهِ من الطرز الاميركاني المعروف باسم شرزر وفيهِ مجاز للمراكب سعتهُ سبعة وعشرون متراً

« وكان انشاء هذا الكبري في ظروف عسيرة غير اعتيادية فان موقعهُ جاء في اضيق نقطة من مجرى النيل ولذلك كان في اعمق موضع فيهِ وقد تعذر اقامة مقابل ثابتة في النهر الى اعمق من عشرين متراً لاستعمالها في تعويض البغال ووضع الارضية فوقها فاقتضت الحال تعليق صناديق الاساسات بعفريتات متينة جداً مثبتة في صنادل راسية في النهر وذلك الى ان تبلغ تلك الصناديق عمقاً وافياً حيث تستند ارضية النهر ولهذا السبب عينهِ اقتضت الحال اعداد عتب كل فتحة على مسطاح النهر ونقلهُ بعد ذلك على صنادل كبيرة ووضعهُ في مكانهِ النهائي فوق الاكتاف بغاية الضبط . واما العمق الذي بلغتهُ الاساسات تحت سطح الماء فهو من اعظم الاعماق التي وُصل اليها في تأسيس الكباري وربما كان اعظمها ولولا الاحتياطات التي اتخذت في هذا العمل لما امكن العمال ان يشتغلوا تحت ضغط هواء بلغ احياناً ثلاثة كيلو غرامات ونصفاً للمتر المسطح وهو اقصى ما تحتملهُ الاجسام البشرية . هذا ورسومات الكبري العمومية قد وضعها المأسوف عليهِ السير بنجامين بيكر الذي طالما امدَّ الحكومة المصرية بآرائهِ ومشوراتهِ الهندسية ذات الاهمية الكبرى وقد قامت شركة فينليل باتشاء هذا الكبري وجاء عملها مرضياً للحكومة وعلى مرامها فاصابت الشركة بذلك فخراً عظيماً ونالت فوزاً على فوز

« اما كبري الزمالك فقد اقيم على البحر الاعمى طولهُ مائة وخمسة وعشرون متراً وعرضهُ ستة عشر متراً ونصف وهو مركب من جزئين ثابتين متماثلي الوضع طول كلٍّ منهما ثلاثون

متراً ومن قسم متحرك ذي كفتين متحركتين بالكهربائية وفيهِ مجازان للمراكب سعة كلٍّ منهما عشرون متراً

« وبما ان الجناب العالي الخديوي غائب عن الديار المصرية في اوربا فقد تعطف وعهد اليَّ في افتتاح كبري بولاق والزمالك

« فباسم سموه اعلن الآن افتتاحهما للمرور العام »

ولما انتهى من خطبتهِ سار وسار الحاضرون في اثره على كبري بولاق حتى اذا بلغوا وسيطهُ ضغط باصبعهِ على الزر الكهربائي المعد لفتحهِ للملاحة فاخذت القنطرتان القائمتان في وسط الكبري تنحدران من الجانبين الى ان بلغتا ارضهُ وارتفع نحو خمسة وعشرين متراً من الكبري عن الجانبين في الفضاء فانفتح بذلك ممر في وسطهِ لمرور المراكب اتساعهُ نحو ٢٧ متراً . ثم ضغط على الزر الكهربائي ثانية فعاد الكبري الى ما كان عليهِ وسار المدعوون الى آخرهِ ثم ركبوا المركبات وقصدوا كبري الزمالك ومروا عليهِ ايضاً

ونشرت نظارة الاشغال وصف الكبريين وممَّا جاء فيهِ غير ما ذكرهُ سعادة الناظر في خطبتهِ ان عمد كبري بولاق الستة وكتفيهِ الخيطيتين كلها من الغرانيت الاسواني مركزة على اساس قد غوّصت بالهواء المضغوط الى ما تحت منسوب الماء باربعة وثلاثين متراً . ولما كان الفرق بين سطح الارضية ومنسوب اعلى الفيضان طفيفاً لم يتيسر وضع الاعتاب تحت الارضية فجعل لكل من الفتحات الثابتة عتبان كبيران ارتفاع كلٍّ منهما ثمانية امتار ستة فوق سطح الترتوار ومتران تحتهُ . وجعلت عيون تلك الاعتاب واسعة على قدر الامكان حتى لا تحجب النيل عن الابصار . وقد بلغ وزن الفولاذ (الصلب) في عتب كل فتحة اكثر من ٥٠٠ طن . والجزء المتحرك الذي يفتح لمرور المراكب لهُ كفتان في كل كفة صندوق كبير محشو بالخديد والخرسانة ثقلهُ ٦٠٠ طن ويحركهُ محرك كهربائي بحيث يتم فتحهُ واقفالهُ في دقيقتين من الزمان وقد يمكن فتحهُ باليد في نصف ساعة لانهُ متوازن تماماً ولا يحتاج لتحريكهِ الاَّ الى قوة تقاوم الاحتكاك وضغط الريح عند هبوبها انتهى »

ولا شبهة في ان وضع الاعتاب فوق سطح الكبري ازال بهجتهُ فيخال للمار عليهِ انهُ داخل الى قبو طويل واذا كان راكباً مركبة سريعة تعبت عيناهُ من توالي تحكيم محور بهما للقرب والبعد فهو مخالف من هذا القبيل لما قالتهُ الحكومة قبل انشائهِ وهو انها تقصد ان يكون نزهة من النزهه وآية من آيات الصناعة . وكبري الروضة اجمل منهُ جداً من هذا القبيل فاذا لم يكن امتن من كبري الروضة كثيراً فيكون جمال المنظر قد ضحّي لغير فائدة توازيهِ